@ 608 @ وجعل بين البحرين حاجزا أإل ه مع ا بل أكثرهم لا يعلمون) ^ أي : هل الأصنام والأوثان ، الناقصة من كل وجه ، التي لا فعل منها ولا رزق ولا نفع ، خير ؟ أم ا الذي ^ (جعل الأرض قرارا) ^ يستقر عليها العباد ويتمكنون من السكنى ، والحرث ، والبناء ، والذهاب ، والإياب . ^ (وجعل خلالها أنهارا) ^ أي : جعل في خلال الأرض ، أنهارا ينتفع بها العباد ، في زروعهم وأشجارهم ، وشربهم ، وشرب مواشيهم . ^ (وجعل لها رواسي) ^ أي : جبالا ترسيها وتثبتها ، لئلا تميد ، وتكون أوتادا لها ، لئلا تضطرب . ^ (وجعل بين البحرين) ^ البحر المالح والبحر العذب ^ (حاجزا) ^ يمنع من اختلاطهما ، فتفوت المنفعة المقصودة من كل منهما ، بل جعل بينهما حاجزا من الأرض . جعل مجري الأنهار في الأرض مبعدة عن البحار ، فتحصل منها مقاصدها ومصالحها . ^ (أإله مع ا) ^ فعل ذلك ، حتى يعدل به ا ويشرك به معه . ^ (بل أكثرهم لا يعلمون) ^ فيشركون با ، تقليدا لرؤسائهم وإلا فلوا علموا حق العلم ، لم يشركوا به شيئا . ^ (أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم حلفآء الأرض أإل ه مع ا قليلا ما تذكرون) ^ أي : هل يجيب المضطرب ، الذي أقلقته الكروب ، وتعسر عليه المطلوب ، واضطر للخلاص ، مما هو فيه ، إلا ا وحده ؟ . ومن يكشف السوء ، أي : البلاء ، والشر ، والنقمة ، إلا ا وحده ؟ ومن يجعلكم خلفاء الأرض ، يمكنكم منها ، ويمد لكم بالرزق ، ويوصل إليكم نعمه ، وتكونون خلفاء من قبلكم كما أنه سيميتكم ، ويأتي بقوم بعدكم ، أإله مع ا ، يفعل هذه الأفعال ؟ لا أحد يفعل مع ا شيئا من ذلك ، حتى بإقراركم أيها المشركون ، ولهذا كانوا إذا مسهم الضر ، دعوا ا مخلصين له الدين لعلمهم أنه وحده ، المقتدر على دفعه وإزالته . ^ (قليلا ما تذكرون) ^ أي : قليل تذكركم وتدبركم للأمور ، التي إذا تذكرتموها ، ادكرتم ، ورجعتم إلى الهدى . ولكن الغفلة والإعراض ، شامل لكم ، فلذلك ما أرعويتم ، ولا اهتديتم . ^ (أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرى بين يدي رحمته أإل ه مع ا تعالى ا عما يشركون) ^ أي : من هو الذي يهديكم ، حين تكونون في ظلمات البر والبحر ، حيث لا دليل ، ولا معلم يرى ، ولا وسيلة إلى النجاة إلا هدايته لكم ، وتيسيره الطريق ، وجعل ما جعل لكم من الأسباب ، التي تهتدون بها . ^ (ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته) ^ أي : بين يدي المطر ، فيرسلها ، فتثير السحاب ، ثم تؤلفه ، ثم تجمعه ، ثم تلقحه ، ثم تدره ، فيستبشر بذلك العباد ، قبل نزول المطر . ^ (أإله مع ا) ^ فعل ذلك ؟ أم هو وحده ، الذي انفرد به ؟ فلم أشركتم معه غيره ، وعبدتم سواه ؟ ^ (تعالى ا عما يشركون) ^

تعاظم ، وتنزه وتقدس عن شركهم ، وتسويتهم به غيره . ^ (أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السمآء والأرض أإل ه مع ا قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) ^ أي : من هو الذي يبدأ الخلق ، وينشىء المخلوقات ، ويبتدي خلقها ، ثم يعيد الخلق يوم البعث والنشور ؟ ومن يرزقكم من السماء والأرض ، بالمطر والنبات ؟ ^ (أإله مع ا) ^ يفعل ذلك ، ويقدر عليه ؟ ^ (قل هاتوا برهانكم) ^ أي : حجتكم ودليلكم على ما قلتم ^ (إن كنتم صادقين) ^ وإلا ، فبتقدير أنكم تقولون : إن الأصنام لها مشاركة له ، في شيء من ذلك ، فذلك مجرد دعوى ، صدقتموها بلا برهان ، وإلا ، فاعرفوا أنكم مبطلون ، لا حجة لكم . فارجعوا إلى الأدلة اليقينية والبراهين القطعية الدالة على أن ا ، هو المتفرد بجميع التصرفات وأنه المستحق أن يصرف له جميع أنواع العبادات . ^ (قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا ا وما يشعرون أيان يبعثون * بل ادارك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون * وقال الذين كفروا أإذا كنا ترابا وآبآؤنآ أإنا لمخرجون * لقد وعدنا ه ذا نحن وآبآؤنا من قبل إن ه ذآ إلا أساطير الأولين * قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين) ^ يخبر تعالى أنه المنفرد بعلم غيب السموات والأرض ، كقوله تعالى : ^ (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ، ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين) ^ وكقوله : ^ (إن ا عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام) ^ إلى آخر السورة . فهذه الغيوب ونحوها ، اختص ا بعلمها ، فلم يعلمها ملك مقرب ، ولا نبي مرسل . وإذا كان هو المنفرد بعلم ذلك ، المحيط علمه بالسرائر ، والبواطن ، والخفايا ، فهو الذي لا تنبغي العبادة إلا له ، ثم أخبر تعالى عن ضعف علم المكذبين بالآخرة ، منتقلا من شيء إلى ما هو أبلغ منه فقال : ^ (وما يشعرون) ^ أي : وما يدرون ^ (أيان يبعثون) ^ أي : متى البعث والنشور ، والقيام من القبور ، أي : فلذلك لم يستعدوا . ^ (بل ادارك علمهم في الآخرة) ^ أي : بل ضعف ، ولم يكن يقينا ، ولا علما واصلا إلى القلب ، وهذا أقل ، وأدنى درجة للعلم ، ضعفه ووهاؤه ، بل ليس عندهم علم قوي ، ولا ضعيف ، وإنما ^ (هم في شك منها) ^ أي : من الآخرة ، والشك زال به العلم ، لأن العلم بجميع مراتبه ، لا يجامع الشك . ^ (بل هم منها) ^ أي : من الآخرة ^ (عمون) ^ قد عميت عنها بصائرهم . ولم يكن في قلوبهم علم من وقوعها ، ولا احتمال ، بل أنكروها واستبعدوها . ولهذا قال : ^ (وقال الذين كفروا أإذا كنا ترابا وآباؤنا أإننا لمخرجون) ^ أي : هذا بعيد ، غير ممكن ، قاسوا قدرة كامل القدرة ، بقدرتهم الضعيفة . ^ (لقد وعدنا هذا) ^ أي : البعث ^ (نحن وآباؤنا من قبل) ^ أي :